من واقعنا اليوم !

بقلم الآنسة روز غريب

في كل بلاد نفترض وجود افراد من الطبقة المثقفة — التي تدعى كذلك — قد اضافوا الى ثقافتهم العقلية نوعاً من الثقافة الخلقية يجعلهم مخالفين للمجموع في تفكيرهم وتصرفهم ، لا اعني فقط بالمجموع العامة بل اعني كذلك سواهم من المثقفين .

اولئك هم الذين — في بلد شيوعي — يجرؤون على مناقشة اساليب الدعاية والتفكير الشيوعيين ، لا عن نزوة هوى وانفعال بل عن تروٍّ وتفكير ، لا يهمهم ان يتعرضوا ، في موقفهم هذا ، لغضب السلطة الحاكمة وتنكيلها .

وهم الذين — في اميركا — يجسرون على انتقاد جنون التسلح الاميركي او الحملة العمياء التي تشنها اميركا على كل ماهو شيوعي وتقضي بها على حرية الفكر قضاء مبرما .

وفي قطر عريق الثقافة من اوروبا الغربية يناهضون تقاليد الاستعمار الاوروبي ويناقشون « حمل الرجل الابيض » ويوجهون اعنف النقد الى مساوىء البورجوازية الغربية وموقفها الهجومي المتغطرس او الرجعي المتحجّر .

اذا فرضنا وجود مثل هذه الفئة في قطر شرقي كبلادنا مثلاً ، علينا ان نقول بوجود فريقين من المثقفين : الاول — وهو الاكثرية الغالبة — يحصر ثقافته في نوعين منها ، الجسمية والعقلية ، ويتخذ هذه الثقافة المبتورة وسيلة الى الكسب والنفوذ الاجتماعي ، لا يرى بأساً في تسخيرها للدعاية ونشر الاكاذيب والتقرب الى بعض المقامات الرفيعة بوسائل الملق والمصانعة ، وهو في ذلك لا يختلف عن طبقات العامة المعدومة الثقافة ، التي لا همَّ لاصحابها الا توفير اسباب الملذات السهلة من مأكل وملبس ومسكن وتنفُّذ اجتماعي بأي وسيلة ممكنة .

والفريق الثاني — وهو اقلية ضئيلة ، وربما قلنا مفقودة — يتصف اصحابه بعقائد خُلقية صلبة تسهل عليهم امر مخالفة المجموع ووضع القيم الذاتية فوق القيم التقليدية الشائعة ، لأنهم يرون للحياة معنى غير المال والشهرة والقوة المادية والسيطرة على المستضعفين وصغار النفوس من البشر .

يرى الواحد منهم انه لو خُيّر بين الفقر وبين عمل يضمن له الثراء ، لكنه يخالف مبادئه الخلقية ، لآثر الفقر على هذا العمل . ويخيل له انه يستطيع الوقوف وحده في العاصفة ومقاومة الرأي العام مهما قوي تياره . إذا انكر الرأسمالية وأساليبها فليس ذلك لانه — نظير اكثرية المتشيعين — يرى في تغيير النظام وسيلة للسيطرة والغنى اللذين أخفق في الوصول اليهما عن طريق النظام الرأسمالي ، بل لأنه يعتقد اعتقاداً راسخاً ، مبنياً على الدرس والاطلاع ، بفساد النظام المشار اليه وبضرورة تغييره . لكنه في عقيدته هذه ، مسيّر بالروح العلمية الى حد أنه مستعد للاستغناء عن تلك العقيدة ، اذا اثبت له الاختبار فسادها .

مثل هذا الانسان يرى الاشياء على حقيقتها لا من خلال مصالحه الذاتية ولا من خلال دعايات الآخرين . وهو لهذا لا يسلّم بصحة مبدأ او مذهب قبل اخضاعه لمحك الاختبار . ويتردد في الانتماء الى حزب من الاحزاب خوفاً من ان يتعرض بذلك للعبودية الفكرية التي ينفر منها اشد النفور ، فهو يحتقر التقليد في الافكار كما يحتقر التقليد في الأزياء .

لكنه مستقر على مبادىء خلقية صارمة لا تمتُّ الى السياسة بصلة وإنما تتعلق بكيان الانسان الذاتي وبتصرفه ازاء نفسه والمجتمع ، يصدّق بها لانها وُجدت في اعماق الانسان منذ وعى نفسه انساناً . واهم هذه المبادىء ان يكون صادقاً مع نفسه ، شديد المحاسبة لها ، وان يتصرف في الخفاء كتصرفه في وضح النهار ، وان يكون تفكيره الخفي مضاهياً لاعماله واقواله في النقاء والصدق .

نتصور هذا الانسان في مطلع حياته قد جابهته مشكلة تحصيل معاشه فرأى وسائل التعيُّش حوله إما تجارة يُباح فيها الغش والخداع ، او وظيفة يتقلب صاحبها بين عوامل الخنوع او عوامل الفوضى ، فهو إما حاقة او مسمار في آلة جبارة تدعى الدعاية الاجنبية ، او حجر في بناية متداعية متفسّخة تدعى الدوائر الحكومية .

فاذا رأى نفسه غير صالح للتجارة او عاجزاً عن تحمُّل

اعبائها ، فلا بدّ له من الارتماء في احضان الآلة الجهنمية او الاحتماء في ذلك البناء الخرب المتهدم .

وهو في ما عدا ذلك مخيّر بين خوض غمار الهجرة وتسليم امره للاقدار وبين اعتزال الناس والتنسّك في بعض الجبال ، وقد يُعرض عن اقتحام المجهول لضعف ثقته بالحظ وعدم ركونه الى حفاوة الاجانب ، وتعاف نفسه التنسّك لا لصعوبته ، بل لانه دليل اليأس والتراجع وامّحاء الشخصية .

حينئذ ماذا يبقى امامه من سُبُل ؟

اذا شاء ان لا يهلك جوعاً ، لا يبقى امامه الا الوظيفة التي يتسلّمها على كره منه ، واعداً نفسه ان يحيا حياتين : في الواحدة يقوم بواجباته على قدر الامكان ، ويحاول مكافحة الشرور والامراض المحيطة به على قدر الامكان ، والتوفيق بين حالته وحالة المحيط الموبوء ، فهو حيناً مساير ، وحيناً مقاوم ، وحيناً صامت يتلقى الصدمات واللكمات صابراً مستسلماً . وفي الثانية يعيش امينا لمبادئه ، منطوياً عليها ، متعامياً عما حوله ، مكوّناً لذاته عالماً داخلياً يتعزى به ويحرص على ان يزيده بهجةً ونمواً بواسطة المطالعة والدرس الذاتي ، ويتخذ من اوقات فراغه القليلة فرصة لبث بعض الآراء والتحدث عن وسائل الاصلاح .

وهو في خلال ذلك يخدع نفسه بالوعود ويمنّيها بيوم فيه يرتفع عن صدره الكابوس فيعيش حراً طليقاً ويحيا حياة واحدة بدل اثنتين . يوم تنفتح عينه فيه على عالم جديد تسوده العدالة والصلاح والصراحة والنظام والراحة والنظافة والامن .

وفي انتظار ذلك اليوم يقنع بلذة الحلم . لكنه — وهو غريق احلامه — لايقف ليرى الى اية هاوية تجرّه هذه الحياة المزدوجة الموزّعة ، الممزّقة بين الصمت والمسايرة والثورة والكفاح الذاتي ، ولا يحس بأن الزمان الذي يضيعه على هذه الصورة يذهب من يده ولا يعود . اما الوعود التي يمني بها نفسه فلا تخرج عن كونها خيالات واوهاماً لانه هو نفسه لم يكتشف بعدُ الوسيلة العملية لتحقيقها .

روز غريب

حقائق ك.ل.م. العشر

١ — **الاقدمية** : ك.ل.م. اقدم شركة للطيران في العالم .

٢ — **المهارة** : ك.ل.م. تعاين وتصلح الطائرات التابعة لثماني عشرة شركة اخرى للطيران .

٣ — **الخبرة** : ك.ل.م. التي تستعمل احدث الطائرات وافخمها يعود اليها الفضل بادخال ابرز التحسينات في حقل تجهيز الطائرات وراحة الركاب .

٤ — **الثقة** ، ك.ل.م. نالت على التوالي في السنوات التسع الاخيرة جائزة الامان السنوية لعموم امبراطورية كما إذ لم يحصل اي حادث ، في هذه المدة ، لركاب طائراتها او لربابنتها .

٥ — **السرعة** : ك.ل.م. نالت الجائزة الاولى في سباق الهنديكاب الدولي بين انكلترا واوستراليا .

٦ — **الخدمة** : ك.ل.م احتلت مكانتها الاولى في الصف الاول اعتماداً على خدمة الركاب وانشراحهم بنوع خاص .

٧ — **الدقة** : بالنظر الى دقة مواعيد ك.ل.م. التي اصبحت مضرب الامثال فان عشرات الملايين ينتظرون يومياً مرور طائراتها فوق رؤوسهم لمعرفة الوقت بدقة .

٨ — **الاقدام** : ك.ل.م. اول شركة طيران في اوروبا انشأت خطوطها عبر المحيط الاطلسي واول شركة في العالم انشأت خطوطها فوق الشرق كله .

٩ — **الانتشار** : خطوط ك.ل.م. تربط خمساً وستين دولة وسبعاً وتسعين مدينة بطول الارض وعرضها ولا تزال تمتد سنة بعد سنة .

١٠ — **الشهرة** لذلك هي تحتفظ بكل فخر ، منذ ثلاثين سنة بلقب « الملكية » التي تحمله وحدها في العالم ، ولذلك يعتمدها ، في طليعة من يعتمدها ، للسفر اكثر الملوك والرؤساء والوزراء .

صديقة

الادب والادباء

ك ل م